هذا وطني MY HOME

تكلمنا في الحلقة السابقة من تحقيقات (هذا وطني) عن غياب فرص العمل وقلة المشاريع الاستثمارية في قضاء السماوة الذي يعد مركز محافظة المثنى، والسبب في ذلك هو ضعف الموازنة المخصصة لتلك المدينة. سوق المدينة الذي يعد مركزها التجاري تراه وتشعر به وكأنه لسان حال المواطن المبتلى، فهو خطيب الصدق وصورة الفقير وإشعاع التقاليد العشائرية التي تتصف بها تلك المدينة. السماوة حباها الله بنعمة الأمن والسلام فلم يحدث بها تهجير طائفي، على الرغم من وجودها بين محافظات البصرة والناصرية والديوانية والنجف وجميعها طالها الإرهاب، فضلا عن كونها قريبة من السعودية والكويت، ومبررات وأسباب هدوئها الأمني أن عشائرها اتفقت على البراءة من أية أعمال إرهابية يقوم بها أي مواطن، ورفضهم القاطع لعدوى الفتنة الطائفية بالإضافة الى وجود سيطرات أمنية دقيقة وحريصة بعملها، متوزعة على جميع منافذ المدينة.

□ المثنى / يوسف المحمّداوي.. تصوير / محمود رؤوف

الناظر لخرابها سيغني حتماً (ياحريمه)

السماوة تبحث عن نصب لرموز حضارتها وشخصياتها الوطنية

حياة ليلية مليئة بالمسرات البسيطة

الحمام الذي تم تشييده أثناء الحكم العثماني ما زال محافظا على أبّهته ونضارته من خلال اهتمام العائلة التي تمتلكه

المدينة الممتلئة بالأساطير وتحف الحضارة والرموز الوطنية، لا يوجد فيها نصب لأوروك تلك المدينة العظيمة، لا لجلجامشها ولا لملحمته

بعض المقاهي تقدم الحشيشة في الاركيلة، ولا تقدمها للغرباء بل لأناس معروفين. المقاهي تملأ الشارع

لا سيطرات داخل السماوة

الداخل في مدينة السماوة لا يشعر بوجود أية سيطرة داخل المدينة، نعم ترى انتشارا في بعض الشوارع الرئيسية أو عند الدوائر الحكومية، لكن لا ترى ما موجود من كوارث في سيطرات بغداد التي مزقت جمالية العاصمة وجعلتها عبارة عن سجن عسكري كبير.

لم نفارق المقهى العتيق بعد أن سلبتنا حكايات الناس وهمومهم التي لا تنتهي في مدينة كلكامش وانكيدو وعشتار.

المواطن مؤيد عبد الرزاق في حكاية ولده رأينا العجب، حيث اخرج لنا تقريرا طبيا صادرا عن دائرة صحة المثنى – شعبة اللجان الطبية، وموقع من قبل سبعة أطباء ثامنهم رئيس اللجنة الدكتور عادل جعفر عبد الصاحب، ومعنون الى المجلس المحلي لقضاء السماوة، يقول الكتاب اجتمعت اللجنة الطبية وأجرت الفحص الطبي على حسين مؤيد عبد الرزاق وكان قرارها تلفا دماغيا شديدا مع عدم القدرة على النطق والمشي (عاجز كليا)، وهو غير مشمول بقرار ٩٨ لسنة ٢٠٠٠، ويؤكد والد الطفل حسين أن ولده يستحق الرعاية والعناية من تلك اللجنة والاستفادة من ذلك القرار، لكنه لا يمتلك الواسطة لإقناع الطبيب وكذلك لا يمتلك أجور العلاج والكشف عند عيادة الطبيب الخاص، وانه لو راجع رئيس اللجنة في عيادته الخاصة لشمله بالقرار، مبينا أن الفساد إذا وصل الى الطبيب، فعلى الدنيا السلام، أتمنى أن يسمعنا المسؤولون في وزارة الصحة وينقذوا ولدي مما فيه من حالة مرضية، وبدورنا نقول إن الرجل حملنا هذه الأمانة لنوصلها عن طريق الإعلام ولغرض التأكد من الحالة نقول: إن تلفون المواطن هو (٠٧٨١٢٥٠٦٠٤٩)، نتمنى أن تقوم أية جهة حكومية أو مدنية برعاية هذا الطفل الذي يضاف إلى شريحة ضحايا النظام الجديد.

سوق السماوة المسقف

"ياحريمة.. ياحريمة"

خرجنا من المقهى القديم مودعين بحب ونظرات الناس الطيبين وتبعنا رجل طويل القامة يقول بأنه زوج شقيقة الفنان مازن الذي استدرجنا بأسلوب حاتمي الكرم من اجل تلبية دعوته للعشاء لكننا بعد شكره آثرنا الاستمرار في جولتنا السماوية باتجاه أقدم حمام في مدينة السماوة وهو حمام الكوثر الذي وصلنا له عن طريق زقاق ضيق وبيوت قديمة تشعر برؤيتها ورؤية أهلها بالخراب والإهمال الحكومي وغياب الخدمات ولا تمتلك وأنت ترى مدينة الحضارة وهي تحتضر بهذا الشكل غير أن تردد مع شاعرها ناظم السماوي وتقول لجميع المسؤولين فيها "يا حريمة...انباكت الجلمات من فوك الشفايف... ياحريمة...لا ولك لا لا اعله بختك ماني سالوفة صرت بين الطوايف...ياحريمة..ياحريمة" بالفعل أن السماوة أصبحت حكاية بين المدن من ناحية التهميش والإهمال.

الحمام العثماني

الحمام الذي تم تشييده أثناء الحكم العثماني ما زال محافظا على أبّهته ونضارته من خلال اهتمام العائلة التي تمتلكه. يقول صاحب الحمام باسم جاسم أن الحمام شيد من قبل الأتراك ثم اشتراه أجدادي منهم وتبلغ مساحته ٣٨٠ مترا مربعا ويحتوي على ٢٣ حوضا يصلها الماء البارد المميز بالأنبوب الأعلى، اما الحار فهو بالأنبوب الأسفل، وجميع أهالي السماوة يعرفونه ويرغبون فيه. وعن زبائنه يقول: من جميع شرائح المجتمع، مدراء دوائر، موظفين، ضباط جيش وشرطة وأهالي من القطاع الخاص وشبابا وشيوخا، وهو مرغوب لكونه قديما، وأهل السماوة لديهم مثل يقول "عليك بالصديق القديم،والحمام القديم ،والخل القديم".

وعن أجرة دخول الحمام يقول ٢٠٠٠ دينار، وسعر الليفة ١٠٠٠ دينار والصابونة ٥٠٠ دينار، وأكثر الأيام ازدحاما هو الخميس وأيام العطل، وفي الأعراس يأتي العريس وأصدقاؤه وأقرباؤه. يقول المدلكجي عبد حسن إن الحمام عمره ١٣٠ سنة، مستدلا بذلك على رجل توفي وعمره ١٠٠ سنة، وكان يقول لهم: فتحت عيني على الدنيا والحمام موجود، والكثير من الشخصيات المعروفة تحمموا في هذا الحمام كالقضاة والضباط والعديد من الأدباء والفنانين مثل الفنان حسين نعمة وكذلك الشاعر ناظم السماوي وغيرهم.

المحرر داخل الحمام العثماني

يوم للنساء

وأكد أن الحمام كان يخصص يوما واحدا من كل أسبوع للنساء، لكن مع سقوط الطاغية سقط ذلك اليوم من حسابات الحمام، وحرمت المرأة من يومها الأسبوعي بعد أن رفض المجتمع السماوي الجديد تلك الحالة.

تركنا الحمام وأصحابه ومررنا على أقدم جامع في السماوة وهو جامع الإمام علي في منطقة الغربي الأولى، وبعدها دخلنا السوق متوجهين نحو كورنيش السماوة، لا أخفيكم وأنا في منتصف السوق رأيت من تثلج وتولد الحنين لأيام الصبا، وهي ملتحفة بحجابها وعباءتها، فلم أتوان في الترديد مع الشاعر يحيى السماوي حين قال مرة في المشهد نفسه متغزلا:

ليل حجابك.. حول وجهك قد سجا
فعجبت إذ جمع الضياء مع الدجى
جلسا معا: ليل وصبح مشمس
فكأن بدرا بالظلام تبرجا...!
ومشت... فقلت: ربابة تمشي على
صدري فحق لخافقي أن يهزجا
وتثاقلت في الخطو تفتعل الضنى
فوددت لو كانت ضلوعي هودجا
نعم وددت لو كانت ضلوعي هودجا
ولكن كم من أمنيات قبرتها شيبتي.

ازدهار مهنة الصاغة

الحشيشة في الاركيلة

في الطريق باتجاه الكورنيش لاحظت العديد من الشباب وقد اخذ دخان الاركيلة مأخذه منهم، سرني احد الأصدقاء بالقول: إن بعض المقاهي تقدم الحشيشة في الاركيلة، ولا تقدمها للغرباء بل لأناس معروفين. المقاهي تملأ الشارع، لاحظنا وجود محال فاخرة بنيت بعمارة حديثة وراقية في الجانب الثاني من الشارع القريب من السوق وليس المحاذي لنهر الفرات الذي يقسم السماوة إلى قسمين،لا أخفيكم وأنا أسير بالشارع كنت أفكر بالوجوه وملامحها وأنا أقول مع نفسي من غير المعقول أن الجينات الوراثية لجدنا كلكاكمش لا يحملها احد من أبناء السماوة خاصة وان كلكامش كان مشهورا بالدخول على كل عروس في مملكته الوركاء قبل أن يدخل عليها زوجها، وهذا الأمر كان سببا لمعركته مع صديقه الحميم انكيدو الذي كان يرفض ذلك الفعل، المهم كنت أحاول ان أجد ملامح لهؤلاء الذين سطروا تلك الملحمة في مملكتهم، ولكني لم افلح لأني أصلا لا املك وصفا حقيقيا لجدنا العظيم.

لا نصب في السماوة

الأمر الآخر الذي أثارني في مدينة السماوة هو لا وجود لأي نصب تذكاري فيها، وهي المدينة الممتلئة بالأساطير وتحف الحضارة والرموز الوطنية، فلا يوجد نصب لأوروك تلك المدينة العظيمة، لا لجلجامشها ولا لملحمته، ولا لصديقه انكيدو وهما يصارعان الثور المجنح الذي أرسلته الآلهة لمحاربتهما، ولا للقائد الذي تسمت باسمه المثنى بن الحارث الشيباني، ولا للذي أوقد نار ثورة العشرين الثائر الراحل شعلان ابو الجون.. هل يعقل أن تمسخ ذاكرة مدينة من الوجود تحت ذريعة أن النصب والتماثيل حرام؟، لماذا اختلف المفكرون والمفتون بهذا الأمر عن حركة طالبان وأفكارها الظلامية؟، الأمر يدعو للدهشة والاستغراب وأتمنى من ابناء السماوة وخاصة شريحة الأدباء والفنانين والإعلاميين كشف الأسماء التي تقف وراء هذا الأمر القاتل للمدينة وذاكرة أهلها المشعة دائما بضوء الحضارة والترف التاريخي لمدينتهم.

يا أول الكلمات.. يا أوروك

سرنا على الكورنيش أنا وصديقي محمود والزميل الإعلامي حسام، العاقول يرافقنا كذلك المصور مصطفى، شباب يلعبون الدومينو في مقهى الناس طلبنا منهم التصوير فاستجابوا بطيبة سماوية خالصة، كانت نقطة اللقاء مع الزملاء الأدباء والإعلاميين والفنانين في مقهى الكوخ وهو كوبي شوب حديث يقف بجانبه مول كبير، بني من قبل مستثمر. الضفة الأخرى من الفرات زينتها المصابيح الملونة لمدينة العاب أهلية افتتحت مؤخرا في المدينة، وصلنا إلى هناك وكان في استقبالنا العديد من الإخوة والأصدقاء، منهم رئيس نقابة الفنانين في السماوة الفنان المسرحي عدنان أبو تراب وكذلك الفنان المسرحي ماجد الوروار، والشاعر والإعلامي عمر موسى الشيخ، ورئيس جمعية الصيادين الصديق عبد الرحمن، واليساري الصديق والرفيق أبو فكرت، والإعلامي ابو احمد والعديد من الأسماء الأخرى التي اعتذر لها لعدم ذكرها، ثم جاءت مجموعة أخرى وكان جلّ الحديث يدور عن الحركة الفنية في السماوة وأسباب تراجعها، والذي سيكون محور حلقتنا المقبلة عن المدينة ودور النقابة، ونحن نتحدث جاء الشاعر قاسم والي فتذكرت ما قاله في تراتيل أوروك عن تلك المدينة العظيمة: الآن يا وطني وملء فمي جرى صوتي وأسئلتي وأنت جواب... يا أول الكلمات ،يا أوروك، يا عشتار..من أثواب انكيدو عليك ثياب.. للآن تربكك التفاصيل التي كثرت، وما فتئت، تضيع على المدى أسباب... لان والأفعى تغادر خلسة جحرا لتسرق عشبة فيفاجأ العشاب.

■ *والى حكايا أخرى من حكايات هذا وطني*